مترجمو القرآن الكريم ومهمّتهم

اتجاه القراءات القرآنيّة

الدكتور سيد كاظم الطباطبائي
جامعة الفردوسي ـ مشهد

لا شكّ أنّ قرّاء القرآن الكريم قد قرؤوا بعض العبارات أو الألفاظ القرآنية بصور مختلفة. وأنّ بعض القراءات تتعلّق بتلّفظ تلك العبارات والألفاظ أو تأديتها، ولا تُفضي الى الاختلاف في معانيها، مثل «كُفُوَاً أحَدٌ» (مضمومة الفاء مفتوحة الواو وغير مهموزة) و«كُفُؤَاً احد» (بالهمزه وضمّ الفاء). بيد انّ بعض تلك القراءات يتبعها اختلافٌ في المعاني مثل «مالك يومِ الدين» و«ملك يومِ الدين» و«مَلَك يومَ الدين» (بفتح اللام والكاف ونصب يوم) او نحو «بما كانوا يَكذِبونَ» (البقرة، ١٠) و«بما كانوا يُكَذِّبونَ» (بالتشديد).

إنّ بحثنا هذا يدور حول المهامّ الملقاة على عاتق مترجمي كتاب الله الكريم بالنسبة لقراءات النوع الاخير. والله الموفّق الى سبيل الرشاد.

﴿فاذا قرأناه فاتّبع قرآنه﴾ (القيامة، ١٨)

المقدّمة

لا مراءَ في أنّ قرّاء القرآن الكريم قرؤوا بعض المفردات والعبارات القرآنية بأشكالٍ متنوّعة. وبدأ اختلاف القراءات منذ عهد الصحابة واستمرّ الى العصور اللاحقة واتّسع نطاقه بفعل عوامل معيّنة لا ننوي هنا التطرّق اليها[١]. وبلغ الاختلاف المذكور مبلغاً انّ كتاب معجم القراءات القرآنية[٢] الّذي صُنّف بترتيب السور والآيات القرآنية يقدّم لنا (١٠٢٤٣) مورداً من اختلاف القراءات[٣]. وكذلك فانّ دراسة الحجّة في هذه القراءاتِ وتحليلها الصرفي والنحوي كانت موضع إهتمام الأدباء والنُحاة. وانهمك القرّاء والمفسّرون والباحثون في المجال القرآني بتحليل هذه القراءات ونقدها ودراستها وتهذيبها وانتقائها، وتمييز القراءات الصحيحة المعتمدة من القراءات الضعيفة الشاذّة غير المعتمدة. على سبيل المثال عندما بلغ الاختلاف ذروتَه في القرن الثالث الهجري وظهر التضارب بين القرّاء وأتباعهم، اختار شيخ القرّاء في بغداد، وهو ابو بكر احمد بن موسى بن مجاهد (المتوفّى ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م.)،

من بين القراءات الموجودة القراءات السبع الّتي كان يراها أفضل القراءات واصحّها وأعلاها شأناً، فعرضها في قالب كتاب السبعة في القراءات. كما عدّ بعض القراءات الاخرى «قراءات شاذّة» ودونّها في كتاب الشواذّ[٤]. وثمّة نموذج آخر من هذه الجهود المبذولة يتمثّل في الشروط والقواعد الّتي وضعها محمّد بن محمّد الدمشقّي المشهور بابن الجزريّ (المتوفّى ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) لتمييز القراءة الصحيحة من القراءة الشاذّة الضعيفة.

إذ يقول: «كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندُها فهي القراءة الصحيحة الّتي لا يجوز ردّها ولا يحلّ انكارها بل هي من الأحرف السبعة التّي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الائمّة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمّة المقبولين؛ ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم»[٥].

وجوه اختلاف القراءات

من الحريّ بالعلم بعد هذه المقدّمة أنَّ الاختلافَ في القراءة على سبعة أوجه:

أحدها:ـ اختلاف اعراب الكلمة ممّا لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغيّر معناها. نحو قوله ﴿فيضاعفه﴾ (البقرة، ٢٤٥) بالرفع والنصب ونحو ﴿هؤلاء بناتي هُنَّ أطهرُ لكم﴾ و﴿أطهرَ لكم﴾ (هود، ٧٨).

والثاني:ـ الاختلاف في الاعراب ممّا يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها. نحو قوله ﴿إذ تَلَقَّونَه﴾ (النور، ١٥) و«تُلقُونَه».

والثالث:ـ الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها ممّا يُغيّر معناها ولا يزيل صورتها. نحو قوله ﴿كيف ننشزها﴾ (البقرة، ٢٥٩) و«ننشرها» بالزاء والراء.

والرابع:ـ الاختلاف في الكلمة ممّا يُغيّر صورتها ولا يُغيّر معناها. نحو قوله ﴿ان كانت إلّا صيحة﴾ (يس، ٢٩) و«الازقية» ونحو ﴿كالعِهن المنفوش﴾ (القارعة، ٥) و«كالصّوف».

الخامس:ـ الاختلاف في الكلمة ممّا يزيل صورتَها ومعناها نحو ﴿طلح منضود﴾ (الواقعة، ٢٨) و«طلع منضود».

والسادس:ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله ﴿وجاءت سكرة الموتِ بالحقّ﴾ (ق، ٢٩) و«جاءت سكرة الحقّ بالموت».

السابع:ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله ﴿وعملت ايديهم﴾ (يس، ٣٥) «عملته أيديهم»[٦].

وذهب البغض الى وجود ثمانية عشر وجهاً في اختلاف القراءات مضيفين اليها الاختلاف في اللهجات الّتي كانت متداولة بين القبائل العربيّة نحو: المدّ والقصر، والفتح والامالة، والاختلاس، والاشمام، والاخفاء، والاظهار، والادغام وتركه[٧]. ولّما كان بعضها متداخلاً بالبعض الآخر ـ فهي متكرّرة إذاً ـ لذا يتسنّى لنا ان نوجزها بالوجوه السبعة المتقدّمة.

وسيتبيّنُ ممّا ذكرناه جيّداً أنّ بعض الوجوه في اختلاف القراءات لا يُفضي الى الاختلاف في معنى الكلمة او العبارة. من هنا إذا جعلنا أيّاً منها اساساً لترجمة القرآن الكريم فالنتيجة واحدة. مثلاً رُوِي أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وكذلك عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير قرؤوا «صراط مَن انعمت عليهم» بدل ﴿صراط الذين انعمتَ عليهم﴾[٨]. وان كانت القراءة الصحيحة الراجحة هي تلك القراءة المشهورة، لكن لو فرضنا أنّ أحد المترجمين رأى هذه القراءة وآثرها على غيرها فلا تأثير لذلك في ترجمته. لأنّ «الذين» اسم موصول خاص و«مَن» اسم موصول مشترك يستعمل بلفظٍ واحد للمفرد والمثنّى والجمع، والمذكّر والمؤنّث. فلا يولّد تفاوتاً في المعنى.

واختلاف القراءات النّاتج من اختلاف اللهجات ـ على ما نحتمل ـ يتّسم بنفس هذه الحالة، كالاختلاف المأثور في قراءة الآية الكريمة: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾. ومن الجدير ذكره قولهم: «قرأ اسماعيل عن نافع وحمزة وخلف ورويس «كُفؤاً» ساكنة الفاء مهموزة، وقرأ حفص «كُفُوَاً» مضمومة الفاء مفتوحة الواو وغير مهموزة، وقرأ الباقون «كُفُؤاً» بالهمزة وضمّ الفاء»[٩].

بيد أنّ كثيراً من القراءات يغيّر المعنى نوعاً ما. على سبيل المثال، نلاحظ رأيين في قراءة الآية الكريمة ﴿وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا الله والراسخون في العلم يقولونَ آمنّا بِهِ كلٌّ من عند ربِنّا﴾ (آل عمران، ٧). احدُهما: انَّ «الراسخون» معطوفٌ على «الله» بالواو على معنى انّ تأويل المتشابه لا يعلمه إلّا الله وإلّا الراسخون في العلم، فانّهم يعلمونه. و«يقولون» على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلينَ «آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا... وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار ابي مسلم وهو المروي عن ابي جعفر (عليه السّلام) انّه قال: «كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم. قد علِم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل وما كان الله ليُنزِّل عليه شيئاً لم يُعلِّمه تأويله». (والقول الآخر انّ الواوَ في قوله «والراسخون» واو الاستئناف. فعلى هذا القول يكونُ تأويلُ المتشابه لا يعلمه إلّا الله تعالى. والوقف عند قوله «وما يعلم تأويلَه إلّا الله » ويبتدئ «والراسخون في العلم يقولون آمنّا به». فيكون مبتدأ وخبراً وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفرّاء والجبائي. وقالوا: انّ الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنّهم يُؤمنون به. فالآية راجعة على هذا التأويل الى العلم بمدّة أجل هذه الأمّة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجّال ونحو ذلك ممّا استأثر الله بعلمه ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المُتَأَوَّل[١٠].

مترجمو القرآن الكريم ومهمّتهم تجاه هذه القراءات

من الجدير بالذّكر أنّ أسلوب المفسّرين الكبار في تفاسيرهم يتلخّص عادةً في تفسير كلام الله سبحانه آخذين بعين الاعتبار مختلَف القراءات. وهذا ما نجده في تبيان الشّيخ الطّوسيّ، ومجمع الطبرسيّ وجوامعه أيضاً، وكشّاف الزمخشريّ، وتفسير الفخر الرازيّ، وأنوار البيضاويّ، وكشف الميبديّ وغيرها من التفاسير. في حين أنّ بعضهم يرجّح قراءة واحدة، ويفسّر القرآن كلّه في ضوئها، كما نلاحظ ذلك في التفسير الفارسيّ «منهج الصّادقين» للمولى فتح الله الكاشيّ، اذ صنّفه صاحبه على أساس رواية أبي بكر بن عيّاش عن قراءة عاصم فحسب[١١]. ونلاحظه أيضاً في تفسير الميزان للعلامة السّيد محمّد حسين الطباطبائيّ اذ لم يتعرّض المؤلّف الى اختلاف القراءات قطّ، وجعل تفسيره على أساس قراءة حفص المشهورة.

وهنا يُثار السؤال الآتي: ما هي مهمّة المترجمين للقرآن الكريم الى لغاتٍ أُخرى حيالَ هذه القراءات؟ هل الأفضل أن يرجّحوا احدى القراءات المناسبة للمقام بعلمهم واجتهادهم، ويترجموا الآية المعهودة في ضوئها؟ على سبيل المثال، يترجموا آيةً على أساس قراءة عاصم، وأخرى على أساس قراءة نافع، وثالثة على أساس قراءة أبي عمرو بن العلاء، ورابعة على أساس قراءة الكسائيّ؟ أو يتّخذوا القراءات المختلفة معياراً في ترجمة الكلمة او العبارة القرآنية ويوردوا ترجمةً لقراءة واحدة في المتن، وترجمةً لسائر القراءات في الهامش أو بين قوسين؟ او يُهملوا اختلاف القراءات و يترجموا القرآن الكريم من أوّله الى آخره على أساس أوثق القراءات وأرضاها عند معظم المسلمين؟ وقبل الاجابة عن هذه الأسئلة نرى من الضروريّ التذكير بأنّ الّذين ترجموا هذا الكتاب السّماويّ العظيم الى الفارسيّة غالباً اعتمدوا على رواية حفص عن قراءة عاصم. أي: القراءة الّتي طُبعت على أساسها المصاحف المعروفة

كمصحف المدينة المنوّرة، ومصحف الملك فؤاد. لكنّ بعض المترجمين نهجوا غير هذا الأسلوب عمداً، وبعضهم نهجه سهواً. وفيما يأتي بعض النماذج:

الف ـ في ترجمة «منهم مَن كلّم الله » من الآية الكريمة ﴿تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات...﴾ (البقرة، ٢٥٣) أهمل عدد من المترجمين القراءة الرّاجحة المتداولة، وترجمها اعتماداً على قراءة شاذّة مرجوحة. وفي ضوء القراءة المشهورة المتداولة لفظ الجلالة في الآية المذكورة فاعل، والمفعول به ضمير مستتر يعود على «مَن» الموصوليّة، من هنا قيل في تفسيرها: «منهم من كلّم الله أي: كلّمه الله وموسى»[١٢]. وجعل معظم المترجمين هذه القراءة وهذا التحليل أساساً لترجمتهم. بيد أنّ الّذي يبدو هو أنّ بعضهم اعتمد على قراءة ضعيفة مرجوحة وترجم الآية في ضوئها. منهم صفي علي شاه اذ أنشد في ترجمته وتفسيره المنظوم:

ژاين رسل بعضى ز بعضى أفضل است
أن كــه آخِــر بـاشد أصـل اوّل است
هست ز ايشان كن كه با حق در كلام
بود و رفعت يافت ز او بعضى به نام[١٣]

وتعريبهما: هؤلاء الرّسل بعضهم أفضل من بعض. ومَن كان آخِراً هو الأول أساساً. فمنهم من تكلّم مع الله، ومنهم من رفعه الله درجات.

وكتب الأستاذ المرحوم محيي الدّين مهدي الالهي القمشيّ الذي يعرف الجميع قدر ترجمته السلسلة البليغة قائلاً: «اين پيغمبران را برخى بر بعضى برترى وفضيلت داديم. بعضى با خدا سخن گفته وبعضى رفعت مقام يافته...»[١٤]. وتعريبه: «فضلنا بعض الأنبياء على بعض. فمنهم من تكلّم مع الله، ومنهم من رُفع مقامه...». وكذلك قال الأستاذ محمّد الخواجويّ في ترجمته العلميّة: «بعضى از اين پيغمبران را بر بعضيشان برترى داده ايم، از آنان كسى بود كه با خدا سخن گفت، ودرجات بعضى از آنان را بالا برديم»[١٥]. وتعريبه: (فضّلنا بعض النّبيّين على بعض، منهم من كلّمه الله، ورفعنا بعضهم درجات). ومن البديهيّ أنّنا إذ نقرأ لفظ الجلالة منصوباً في الآية فنقول: «منهم من كلَّمَ الله» يمكن أن تصحَّ هذه الضّروب من الترجمة. بيد أنّ القراءة المذكورة لا تُلحَظُ بين القراءات المتواترة المشهورة كالقراءات السّبع، أو العشر، أو الأربع عشرة أيضاً[١٦]. وعرض بعض المفسّرين والنحاة قراءة «كلّم الله» و«كالم الله» كاحتمال أو كقراءة شاذّة ضعيفة فحسب[١٧]، وضعّفها بعضهم أيضاً[١٨].

ب ـ تطلّع المترجم الايرانيّ الشهير الأستاذ المرحوم أبو القاسم پاينده في ترجمته للقرآن الكريم الى قراءات متنوّعة. واختار أحياناً قراءة غير قراءة المتن، وترجم الآية المعنيّة على أساسها. وتحدّث نفسُه عن أسلوبه هذا بصراحةٍ في مقدّمته المفصّلة التي صدّر بها ترجمته وقال: «في هذه الترجمة أخذتُ بعين الاعتبار قراءات متباينة للقرآن غير ما ضُبط المتن الموجود مطابقاً لها. وربما اخترتُ قراءة غير قراءة المتن حسب ما يتطلّبه المقام وجعلتُ ترجمتي مطابقةً لها»[١٩]. ويذكّر القرّاءَ بقوله: «لا تعجلوا في الحكم على بعض الحالات التي ترون فيها ألفاظ الترجمة لا تطابق المتن عينَه من حيث صيغة الخطاب أو الغيبة أو سياق الفعل»[٢٠]. وهذه النقطة التي نبّه عليها قد امتدّت في ترجمته امتداداً فائقاً، حتّى انّ ترجمته في كثير من المواطن لا تطابق المتن بتاتاً. ونسرد فيما يأتي أمثلةً منها مشفوعة بالتّوضيحات اللازمة كي يستبين القصدُ:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسلِهِ ولَم يُفَرِّقوا بين أحدٍ منهم اولئك سوف يُؤتيهم أُجُورَهم...﴾ (النساء / ١٥٢). وقد قرأ حفص في هذه الآية «يُؤتيهم» بالياء والباقون «نُؤتيهم» بالنون وكانت حجةُ حفص قولَه «سوف يُؤت الله المؤمنين» (النساء، ١٤٦) وحجّة مَن قرأ «نؤتيهم» قوله ﴿اولئك سنؤتيهم اجراً﴾[٢١]

(النساء، ١٦٢).

نلاحظهُ هنا قد أهمل النصّ القرآنيّ المطابق لرواية حفص، وحذا حذو قرّاء آخرين، فجعل الفعل «يؤتي» بصيغة المتكلّم مع الغير، أي: «نؤتي» ومن ثمَّ ترجم الجملة المعنيّة الى الفارسيّة بالصيغة المذكورة حيث قال: «پاداش آنها را خواهيم داد»[٢٢].

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿فلمّا وَضَعَتها قالَت ربِّ إنّي وضعتُها أُنثى والله أَعلمُ بِما وَضَعت وليس الذكرُ كالأُنثى وإنّي سمّيتُها مريم...﴾ (آل عمران، ٣٦). قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب «بما وضعتُ» بضمّ التاء وروى عن عليعليه السلام وقَرَأ الباقون «وضَعَت» على الحكاية. ومَن قَرأ بضمّ التاء جعله من كلام أمّ مريم ومَن قرأ باسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قولَ من أسكن التاء قولُهُ «والله اعلمُ بما وضعت». ولو كان من قول أمّ مريم لقالَت «وأَنتَ اعلم بما وضعتُ» لأنّها تخاطب الله تعالى[٢٣]. ترجم هذه الآية كالآتي: «وچون بار خود بگذاشت، گفت: پروردگارا، من بار خويش دختر گذاشتم، خدا بهتر داند كه چه گذاشتم، كه پسر چون دختر نيست. من او را مريم ناميدم...». فهو هنا يرغب عن رواية حفص ويأخذ بقراءة ابن عامر ويعقوب ورواية أبي بكر بن عيّاش عن قراءة عاصم. فيرى أنّ تاء التّأنيث في «وضعت» هي ضمير المتكلّم، وأنّ قوله: «والله أعلم بما وضعت» من كلام امرأة عمران أمّ مريم فرجّحه «والله أعلم بما وضعتُ» على «والله أعلم بما وضعت» الّذي هو من كلام الله عزّ وجلّ.

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿قالوا طائرُكم معكم أئن ذُكِّرتم بَل انتم قومٌ مسرفون﴾ (يس / ١٩). فترجم هذه الآية بالشكل الآتي: «گفتند: هر جا نامتان به ميان آيد، بخت بدتان همراه است كه شما گروهى افراط كاريد». فترجم «ائن ذُكِّرتمُ» بما تعريبه: «أينَ ذُكِرتمُ». وتصحّ ترجمته لو كانت الجملة المذكورة في الآية كما أوردناه، أي: «أينَ ذُكِرتمُ» لا كما هي في الآية: «أئن ذُكِّرتمُ». مع أنّ هذه القراءة لم تُنقَل عن القرّاء البارزين المشهورين، إلّا أنّ ما يتبيّن من تضاعيف بعض التّفاسير هو أنّها كانت موجودة[٢٤].

٤ ـ في سياق ترجمة الآية الكريمة: ﴿ألّا يُسجُدوا لِلّهِ الذي يُخرِجُ الخبءَ في السموات والأرض ويعلم ما تُخفونَ وما تُعلِنونَ﴾ (النمل، ٢٥) ذهب الى أنّ الفعلين «تُخفون» و«تُعلنون» هما بصيغة جمع المذكر الغائب لاجمع المذكر المخاطب كما في الآية، فترجمهما بالصيغة التي ذهب اليها. ويستبين من مراجعة التفاسير أنّ هذه الترجمة تنسجم مع قراءة جمهور القرّاء إلّا حفصاً والكسائيّ. إذ قيل: «قَرأ الكسائي وحفص عن عاصم «ما تخفون وما تعلنون» بالتاء والباقون بالياء»[٢٥].

٥ ـ قال الله تعالى: ﴿انّ في ذلك لآياتٍ للعالِمين﴾ (الروم، ٢٢). قرأ حفص «للعالِمين» بكسر اللام الاخيرة والباقون بفتحها. وقال ابو علي الفارسي: خصّ «العالِمين» في رواية حفص وان كانت الآية لكافّة الناس عالمهم وجاهلهم، لأنّ العالم لمّا تدبَّر فاستدلّ بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنّه ليس بآية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها. ومَن قال «للعالَمين» فَلانَّ ذلك في الحقيقة دلالة وموضعُ اعتبار وان ترك تاركونَ لغفلتهم او لجهلهم التدبّرَ بها والاستدلال بها[٢٦].

واذا نظرنا في ترجمة پاينده للآية المذكورة عرفنا أنّه رجّح قراءة الآخرين على قراءة حفص فترجمها «للعالَمين» مكان «للعالِمين». فكانت ترجمته للآية الكريمة هي «كه در اين براى جهانيان عبرتى است».

٦ ـ قال الله تعالى: ﴿قال كم لَبِثتم في الارض عددَ سنين * قالوا لبِثنا يوماً او بعضَ يوم فسئل العادّينَ * قال ان لبِثتم إلّا قليلاً لو انّكم كنتم تعلمون﴾ (المؤمنون، ١١٢ ـ ١١٤). قرأ حمزة والكسائي «قل كم لبثتم» و«قُل ان لبثتم» على الامر وقرأ الباقون «قالَ» على الماضي في الموضعين ومن قرأ «قل كم لبِثتم» كان على قل ايّها

السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه[٢٧].

وفي ترجمة هاتين الآيتين أيضاً ترك المترجم قراءة المتن، وعوّل في ترجمته على قراءة حمزة والكسائيّ فترجم الآيتين على قراءتهما بالأمر (قُل) لا بالماضي (قال).

٧ ـ قال الله ـ عزّ اسمه ـ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نَزَل من الحقّ ولا يَكونُوا كالّذين أُوتُوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأَمدُ...﴾ (الحديد، ١٦). قَرأ نافع وحفص «ما نَزَل من الحقّ» خفيفةَ الزاي والباقونَ «نَزَّل» بالتشديد وقرأ رويس[٢٨] «ولا تكونوا» بالتاء والباقون «ولا يكونوا» بالياء. قال ابو علي الفارسي: من خفّف «ما نَزَل» ففي نزل ذكر مرفوع بأنّه الفاعل يعود الى الموصول ويقوّي التخفيفَ قولُه «وبالحقّ أَنزلناه وبالحقّ نزل» (الاسراء، ١٠٥). ومَن شدّد ففاعل الفعل الضمير العائد الى اسم الله تعالى والعائد الى الموصول الضميرُ المحذوف من الصلة ومَن قرأ «ولا تكونوا» فانّه على الخطاب والنهي ومن قرأ «ولا يكونوا» بالياء فانّه عطف على «تخشع» وهو منصوب[٢٩]. ترجم پاينده الآية المذكورة كما يأتي: «آيا هنگام آن نيامده تا كسانى كه ايمان دارند، دلهايشان به ياد خدا وآن حق كه نازل كرده خاضع شود وچون آن كسان كه از پيش كتابشان داده اند، نباشيد كه مدّتشان دراز شد...».

فاذن، ترجم لفظ «ما نَزَلَ» الوارد في الآية «ما نَزَّلَ»، وترجم لفظ «ولا يكونوا» فيها «ولا تكونوا» ويتبيّن بيسير دِقّةٍ في التّرجمة ومقايستها بنصّ كلام الله أنّ المترجم عدل عن رواية حفص بشأن «ما نَزَلَ»، وعن قراءة القرّاء السّبعة بشأن «ولا يكونوا» وجعل ترجمته على أساس قراءة الآخرين.

يبدو أنّ هذه النماذج كافية في تبيان القصد وتحديد فائدة الأسلوب المذكور أو ضرره. ونعرّج الآن على جواب ما أثرناه من أسئلة فنقول: ينبغي للاجابة عنها أن نطرح السؤال الآتي في البداية: مَن تعنيهم ضروب الترجمة عادةً؟ (من البديهيّ أنّ قرّاء التّراجم هم من الأشخاص الّذين لا تتيسّر لهم قراءة المتن أو الكتاب واستيعابهما باللغة الأصليّة، فيلجأون الى الترجمة مضطرّين. ومهما كانت التراجم أمينة دقيقة سليمة متقنة، فانّها لا تعبّر عن مزايا النصّ الأصليّ تماماً[٣٠]. ووجب على المتخصّصين أن يُلمّوا باللغة العلميّة لفروعهم. وانّ قرّاء تراجم القرآن الكريم كغيرهم من قرّاء التراجم الأخرى، بعبارة اخرى انّ المخاطبين في تراجم القرآن الكريم امّا لا يعرفون لغة القرآن ـ وهي اللغة العربيّة ـ مطلقاً، أو يعرفونها بمستوىً لا يكفي لفهم النصّ القرآنيّ واستيعابه. وخلاصة الكلام أنّ تراجم القرآن يقرأها غير المتخصّصين وعامّة المسلمين غالباً.

مع هذا يستبين أنّ انعكاس اختلاف القراءات في التراجم ـ سواءً كان في الهامش أم في المتن ـ يفضي الى تشويش القرّاء وبلبلة أفكارهم. حتّى يمكننا أن نقول: انّ هذا الأسلوب يوقع المتخصّصين في اللبس والخطأ أحياناً. من هنا قال بعض الواعين: «مثلما لا يُستساغ اليوم أن نستبدل القراءات المخالفة للقراءة المشهورة المعروفة بين المسلمين بالمتن المألوف ونقوم بطبعها، لا يستساغ أيضاً أن نضع في متناول أيدي النّاس ترجمتها كترجمة للقرآن الكريم، مضافاً الى أنّه لا يُستطاب أن يرى النّاس النصّ القرآنيّ ويتلوهُ واذا ما رَجعوا الى ترجمته، وجدوا ترجمة لنصّ آخر فيقبلوها بوصفها ترجمة للنصّ الّذي قرأوه»[٣١].

من الجدير بالذكر أنّه عندما قامت جامعة الأزهر بتشكيل لجنة لوضع تفسير عربي دقيق للقرآن تمهيداً لترجمته ترجمة دقيقة، وضعت اللجنة المذكورة قواعد وتعليمات معيّنة لاعداد مثل هذا التفسير. وجاء في الفقرة الخامسة من هذه التعليمات: «أن يُفَسَّرَ القرآن بقراءة حفص، ولا يُتعرَّضَ لتفسير قراءات أخرى إلّا

عند الحاجة اليها»[٣٢].

في ضوء ذلك أرى من المناسب أن يبلور مترجمو القرآن الكريم ترجمتهم توكّؤاً على رواية حفص عن قراءة عاصم أُسوةً بما قرّرته اللجنة المنبثقة عن جامعة الأزهر في اعداد تفسير مرتكز على القراءة المشار اليها. ذلك أنّ هذه القراءة حظيت باقبال المسلمين عليها أكثر من غيرها على مرّ التاريخ، كما أنّ جُلَّ المصاحف المتداولة هذا اليوم قد طُبعت احتذاءً بها، وأنّ معظم المسلمين في الأقطار يتلون كتاب الله بها[٣٣]. علماً أنّ كلامنا هذا لا يعني رفض القراءات الأخرى أو تضعيفها، بل أرى في أغلب الظنّ أنّ فهم القرآن الكريم وتفسيره على أساس القراءات المتباينة عمل لابدّ من الاضطلاع به في التفاسير التخصّصيّة.

الهوامش

١ـ للتعرّف على هذه العوامل راجع: محمد هادي معرفة، التمهيد، ٢ / ١٤ ـ ٤٤.

٢ـ تأليف الدكتور احمد مختار عمرو الدكتور عبد العال سالم مكرم في ثمانية مجلّدات.

٣ـ بهاء الدين خرّمشاهي، قرآن شناخت، ص ٩٧.

٤ـ عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية، ص ٣٧ ـ ٣٨.

٥ـ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ / ٩.

٦ـ الطبرسي، مجمع البيان، ١ / ٧٩ ـ ٨٠؛ وايضاً: ابن الجزريّ، النشر في القراءات العشر، ١ / ١٧ ـ ٢٨.

٧ـ سيد علي كمالي دزفولي، شناخت قرآن، ص ١٢٨ ـ ١٣٠.

٨ـ الطبرسي، جوامع الجامع، ١ / ٩.

٩ـ الطبرسي، مجمع البيان، ١٠ / ٨٥٦.

١٠ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ٦٩٩ ـ ٧٠٠. وراجع أيضاً: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١ / ٢٢٧؛ السيوطي، الاتقان، ١ / ٢٦٤.

١١ـ حسن حسن زاده آملي، «مقابلة مع العلامة حسن زاده آملي»، بيّنات، الرقم ٢، ص ٨٩.

١٢ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ٦٢٣؛ وايضاً: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ٢ / ٣٠٣.

١٣ـ صفي علي شاه، تفسير صفي، ص ٨٠.

١٤ـ قرآن مجيد، ترجمة مهدي الالهي القمشيّ، ذيل الآية المعهودة.

١٥ـ قرآن حكيم، ترجمة محمد الخواجويّ، ذيل الآية المعهودة.

١٦ـ احمد مختار عمرو عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنيّة، ١ / ١٩٤.

١٧ـ العكبري، املاء ما منّ به الرحمن، ١ / ١٠٥؛ الزمخشري، الكشّاف، ١ / ٣٨٢؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، ١ / ٢٥٦.

١٨ـ فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ٢ / ٣٠٣.

١٩ـ قرآن كريم، ترجمه الى الفارسيّة ابو القاسم پاينده، مقدّمة المترجم، صفحة «لب».

٢٠ـ المصدر السابق، صفحة «لد».

٢١ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٣ / ٢٠٣.

٢٢ـ من الجدير ذكرهُ أنّ الأستاذ المرحوم العلامة السيّد محمّد فرزان قد غفل في نقده الدقيق على ترجمة پاينده عن أنّ الفوارق الموجودة بين النصّ القرآنيّ وترجمة پاينده نابعة من الأسلوب الذي اختاره المترجم غالباً. من هنا، ذهب الى أنّها «غفلات وسَهاء لا يحتاج تحديدها وتصديقها الى تحقيق وتدقيق، بل تتبيّن للمبتدئين في العربيّة بمجرّد الانتباه الى طبيعتها» (راجع: سيّد محمّد فرزان، «ترجمه قرآن مجيد به قلم آقاى ابوالقاسم پاينده»، مقالات فرزان، ص ٣٧٠).

٢٣ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ٧٣٦.

٢٤ـ البيضاوي، انوار التنزيل، ٤ / ١٨٦.

٢٥ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٧ / ٣٣٧.

٢٦ـ المصدر السابق، ٨ / ٤٦٩.

٢٧ـ المصدر السابق، ٧ / ١٩١.

٢٨ـ محمد بن المتوكّل البصري ابو عبد الله المعروف بـ«رويس» توفّي سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٣٨) وهو من احذق اصحاب يعقوب. (ابن الجزري، النشر، ١ / ١٨٦).

٢٩ـ الطبرسي، مجمع البيان، ٧ / ٣٥٦.

٣٠ـ يقول الكاتب الأسبانيّ الشهير السيرفانتس (m. cervantes، ١٥٤٧ ـ ١٦١٦ م.): «الترجمة كبطن البساط لا تُبدي إلّا تصميم العمل» ويقول اللغويّ الروسيّ المعروف نابوكوف (nabokov): «قابليّة المترجم الكتابيّة ينبغي أن تكونَ بمستوى قابليّة من يُترجم نتاجه» (طاهرة صفّار زاده، اصول ومبانى ترجمه، ص ٢٤ ـ ٢٦).

٣١ـ مرتضى مطهري: «ترجمه قرآن مجيد به اهتمام آقاى ابو القاسم پاينده»، يغما السنة الحادى عشر، الرقم ١١٨، ص ٨٤.

٣٢ـ مجلّة الازهر، المجلّد السابع، ص ٦٤٨ ـ ٦٤٩؛ نقلاً عن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ٢ / ٦٦ ـ ٦٧.

٣٣ـ انظر: كتاب التمهيد لمؤلّفه محمد هادي معرفة للاطّلاع على أدلّة

ترجيح رواية حفص لقراءة عاصم على سائر القراءات، ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٥٠.

المصادر

١ ـ ابن الجزري، ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، اشرف على تصحيحه علي محمّد الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ ـ خرّمشاهي، بهاء الدين: قرآن شناخت، چاپ دوم، طرح نو، تهران، ١٣٧٥ هـ. ش.

٣ ـ حسن زاده آملي، حسن: «مصاحبه»، بينات، سال اول، ش ٢، تابستان ١٣٧٣ هـ. ش، ص ٨٤ ـ ٩٣.

٤ ـ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ ق. / ١٩٧٨ م.

٥ ـ الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ هـ ق / ١٩٩١ م.

٦ ـ الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، تصحيح مصطفى حسين احمد، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ ق.

٧ ـ السيوطي، جلال الدين: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٧٨ م.

٨ ـ صفّا زاده، طاهرة: اصول ومبانى ترجمه، چاپ ششم، انتشارات دانشگاه آزاد اسلامى، تهران، ١٣٧٤ هـ. ش.

٩ ـ صفي علي شاه، ميرزا حسن اصفهاني: تفسير صفى، چاپ سوم، كتاب فروشى خيّام، تهران ١٣٤٢ هـ. ش.

١٠ ـ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن: جوامع الجامع، بتصحيح ابو القاسم گرجى، چاپ سوم، دانشگاه تهران، تهران، ١٣٧٧، هـ. ش.

١١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، تصحيح وتحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٨ هـ ق. / ١٩٨٨ م.

١٢ ـ العكبري، ابو البقاء: املاءُ ما منَّ به الرحمن، تصحيح ابراهيم عطوه عوض، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٩ هـ ق. / ١٩٦٩ م.

١٣ ـ عمر، احمد مختار ومكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنيّة، الطبعة الاوُلى، مؤسسة الاسوة للنشر، طهران ١٤١٢ هـ ق. / ١٩٩١ م.

١٤ ـ فرزان، سيد محمد: «ترجمه قرآن مجيد به قلم آقاى ابو القاسم پاينده» مقالات فرزان، به اهتمام احمد اداره چى گيلانى، تهران.

١٥ ـ الفضلي، عبد الهادي: القراءات القرآنيّة، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م.

١٦ ـ قرآن حكيم، ترجمه محمد خواجوى (از جهت وجوه ونظاير وغريب ومقاصد قرآن همراه با شأن نزول آيات)، چاپ اوّل، انتشارات مولى، تهران، ١٣٦٩ هـ ش.

١٧ ـ قرآن كريم، ترجمه ابو القاسم پاينده، انتشارات اقبال، تهران، ١٣٣٦ هـ ش.

١٨ ـ قرآن مجيد، ترجمه مهدى الهى قمشه اى، به اهتمام حسين الهى قمشه اى، بنياد نشر قرآن وانتشارات امير كبير، تهران، بى تا.

١٩ ـ كمالي دزفولي، سيد على: شناخت قرآن، چاپ اوّل، انتشارات فجر، تهران ١٣٦٤ هـ ش.

٢٠ ـ مطهري، مرتضى: «ترجمه قرآن مجيد به اهتمام آقاى ابو القاسم پاينده»، يغما، سال يازدهم، ش ١١٨ (ارديبهشت ١٣٣٧)، ص ٧٩ ـ ٨٤.

٢١ ـ معرفة، محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن، الطبعة الثانية، قم ١٤٠٨ هـ. ق. / ١٣٦٦ هـ. ش.

* * *